أن الدولة ظاهرة اجتماعية و سياسية معقدة جدا ومن هنا تظهر الكثير من الصعوبات عند تناولها بالدراسة ، و ذلك لاختلاف المعطيات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية التي تتظافر فيما بينها وتكون من نتائجها ظهور المجتمع المنظم تحت إرادة السلطة أو الدولة

وقد اختلف الفكر السياسي و الفقه القانوني في تحديد أصل نشأة الدولة على عوامل متفق عليها بل اختلف الفكر و الفقه في تحديد هذه العوامل ، ومن ثم ظهرت مجموعة من النظريات حاولت كل نظرية منها تفسير أصل نشأة الدولة ، ويمكن أن تقسم هذه النظريات إلى :

- ✓ النظريات الثيوقراطية
- ✓ النظريات الاجتماعية
- ✓ النظريات العقدية
- ✓ النظريات التطور التاريخي و الطبيعي
- ✓ البيعة في الاسلام

أولا : النظريات الثيوقراطية

تقوم النظريات الثيوقرطية عل فكرة أن أساس أصل نشأة السلطة و الدولة ثيوقراطي أي ديني و معنى هذا أن الدولة في اتجاه النظريات الثيوقراطية نشأت بسبب عوامل دينية ، و أن الدين في مفهومه الواسع كان من وراء ظهور السلطة

و الدولة خاصة في الحضارات القديمة و يقسم الفقه النظريات الثيوقراطية إلى ثلاثة اتجاهات واختفت نوعا ما في تقريب فكرة نشأة الدولة لأسباب دينية و هذه الاتجاهات هي :

1. نظرية تأليه الحكام
2. نظرية الحق الإلهي المباشر
3. نظرية الحق الإلهي غير المباشر

1. نظرية تأليه الحكام

تقوم هذه النظرية على فكرة تأليه الحاكم أي أن الاعتقاد يسود بتقديس الحاكم باعتباره إله يعبد ومن ثم لابد من طاعته في جميع أمور الدين و الدنيا مما إنعكس على أن هذا الحاكم أصبح يجسد السلطة و الدولة ، إلا أن هذه النظرية في جوهرها تتفق مع ما كان سائدا في الحضارات القديمة مثل الحضارة الفرعونية ، و الحضارة الصينية القديمة ، و الحضارة الهندية القديمة .

2. نظرية الحق الإلهي المباشر

تنبني هذا النظرية على أساس عدم جعل الحاكم الإله ذاته ، بل هو من اختاره الله مباشرة لتولي شؤون السلطة و الاختيار هنا جاء بإرادة إلهية و خارجا عن إرادة الأفراد ، وبذلك فإن الحكام يستمدون سلطهم و سلطانهم ن الله مباشرة و بالتالي يجب إطاعتهم وعدم معصيتهم لأن معصيتهم تعد معصية الله

ولقد تبنت الكنيسة هذه النظرية طيلة فترة نزاعها مع السلطة الزمنية ولجأ إليها بعض ملوك اوروبا أمثال لويس لرابع عشرة و لويس الخامس عشر ....حيث ظهرت مقولة (أنا الدولة و الدولة أنا)

3. نظرية الحق الإلهي غير المباشر

ترى هذه النظرية بأن العناية الإلهية هي التي توجه الأفراد و ترشدهم لاختيار حكامهم ، الذين ترتضيهم تلك العناية الإلهية .

وهذا يعني أن الله لا يتدخل مباشرة في عملية اختيار الحاكم ، بل يتدخل بطريقة غير مباشرة أي حينما يرشد الأفراد لاختيار الحاكم .

ثانيا : النظريات الاجتماعية

يرى انصار هذا التيار أن أساس نشأة الدولة و السلطة يعود إلى عوامل اجتماعية تتضافر فيما بينها و تكون من نتائجها ظهور مجتمع منظم و الذي تسيطر عليه قوة اجتماعية أو قوة سياسية تؤدي إلى ظهور الدولة و السلطة المسيطرة ، و تنقسم النظريات الاجتماعية المفسرة لاجل نشأة الدولة إلى أربع اتجاهات هي :

1. **نظرية القوة و الغلبة**
2. **نظرية ابن خلدون**
3. **نظرية الماركسية**
4. **نظرية التضامن الاجتماعي**

1 . نظرية القوة و الغلبة

تقوم هذه النظرية على ذكرة أن المجتمع في أساسه و تنظيمه قام في البداية على السيطرة بواسطة القوة المعنوية أو المادية ومن ثم بدت ملامح المجتمع المنظم على هذا الأساس تتبلور في خضوع أفراد المجتمع لمن يسيطر باستعمال هذه القوة الإخضاع الأفراد لسلطته .

ومما سبق نستنتج أن السلطة و الدولة على هذا الأساس تقوم على القوة المادية التي ستكون من وراء القهر لفرض السلطة في المجتمع كما هو الشأن في المجتمعات البدائية أو القوة المعنوية في المجتمعات القبلية و العشائرية التي سبقت ظهور الدولة .

2. نظرية ابن خلدون

يرى العلامة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة أن الحكم و الدولة (الملك)لا تقوم إلا على أساس و عوام ضرورية و خصائص معينة ، و يمكن إيجازها في الزعامة و العصبية و العقيدة الدينية ، فيتضافر هذه العوامل الثلاث يؤدي ذلك على ظهور نواة الملك و الدولة ، وقد استنبط ابن خلدون فكرة ظهور الدولة من خلاب دراسته لظهور و سقوط الدول ، في العالم الإسلامي خلال القرون الوسطى .

الزعامة : و يتمثل في ظهور شخص يتمتع سلطة و ينصب نفسه ملكا أو سلطانا يفوض ملكه أو سلطانه بالغلبة .

العصبية : وهي شعور الأفراد بانتمائهم إلى جماعة تؤخذ فيما بينها عوام دينية أو عرقية أو مذهبية أو المزج بين هذه العوامل جميعا لتكوين جماعة تفرض إرادتها و سلطتها على باقي الجماعات الأخرى.

العقيدة : وتتمثل في مذهب ديني يقوم على مبادئ يتفق عليها أفراد المجتمع و تصبح عنصرا يمدها بالقوة و الإيمان مما يتولد عنها سلطة يحترمها الجميع مما يؤدي إلى تقوية سيطرة الدولة على مكونات المجتمع .

3. النظرية الماركسية

تنسب هذه النظرية إلى المفكر الألباني كارس ماركس الذي يرى أن الدولة ظاهرة اجتماعية و سياسية مآلها الزوال و أن الدولة ما هي إلا نتيجة لصراع طبقي من صنع الطبقة البرجوازية و ذلك للسيطرة على ثروات المجتمع و من ثم تقوم الطبقة الكادحة " البروليتاريا " بثورة ضد الطبقة البرجوازية من أجل إقامة الدولة الاشتراكية التي ما هي إلا مرحلة انتقالية نحو المجتمع الشيوعي الذي يؤمن بزوال الدولة و تبقى هذه الفكرة عن الدولة فكرة مثالية و فلسفية .

4. نظرية التضامن الاجتماعي

يعتبر ليون دوجي من أهم المؤيدين لنظرية التضامن الاجتماعي حيث يرى أن الدولة عن ظاهرة اجتماعية و تاريخية تقوم على فكرة قيام طائفة من المجتمع بفرض سيطرتها على باقي أجزاء المجتمع و ذلك عن طريق استعمال الإكراه المادي مما ينتج عنه سيطرة الحكام على المحكومين تكون أهم نتائجه ظهور المجتمع المنظم القائم على السلطة و الدولة .

ثالثا : النظرية العقدية

النظريات العقدية هي نظريات فلسفية جاءت مع فلاسفة عصر التنوير و هي التي ترد فكرة نشأة الدولة و السلطة إلى فكرة قانونية تتمثل في " العقد"حيث يرى أصحاب هذه النظرية أن أساس نشأة الدولة و السلطة عقد وهمي يبرمه الحكام مع المحكومين ،ومن أهم المنظرين لفكرة العقد نجد " توماس هوبز " جون لوك " ، و جاك روسو " و فيما يلي فكرة محتوى العقد عند كل من هؤلاء الفلاسفة .

1.نظرية العقد عند توماس هوبز (1588 _1679)

توماس هوبز فيلسوف إنجليزي عبر عن فكرة العقد في كتابه " ليفياتان " حيث يرى أن الإنسان عدواني بطبعه و يميل إلى الفوضى ومن ثم يرى أفراد المجتمع من أجل المحافظة على النظام و السلم يذهبون إلى إبرام عقد اجتماعي مع الحاكم (الملك) وبموجب خذا العقد الوهمي يتنازل أفراد المجتمع عن كل حقوقهم للحاكم ، إلا أن هذا العقد لا يولد و لا يلزم الحاكم لأية مسؤولية . إن توماس هوبز من وراء نظريته العقدية يكرس فكرة " الملكية المطلقة ".

2. نظرية العقد عن جون لوك (1632 _1704)

على عكس توماس هوبز فإن جون لوك يرى أن الإنسان خير بطبعه يفضل العيش في مجتمع يسوده السلام و الإطمأنية ، وقد عبر جون لوك عن فكرة العقد في كتابه " الحكومة المدنية " حيث يرى أن أفراد المجتمع يبرمون عقدا وهميا مع الحاكم يتنازلون عن جملة من حقوقهم للحاكم مقابل لأن يلتزم الحاكم بصيانة هذه الحقوق في "عقد سياسي " و يلتزم به الطرفين و يعتبر لوك من خلال هذه النظرية أنه من أشد المؤيدين للملكية المقيدة " .

3.نظرية العقد عند جان جاك روسو (1712 _1773)

يرى جان جاك روسو أن سبب الصراعات في المجتمعات هو حب التملك و الجري وراء الثروة مما يولد حروبا و صراعات بين مختلف الجماعات المكونة للمجتمع و لتفادي الحروب و الفوضى يلجأ أفراد المجتمع إلى إبرام عقد اجتماعي حسب جان جاك روسو في كتابه "العقد الاجتماعي " حيث يقوم هذا اعقد عى ان الأفراد يتنازلون عن مجموعة من الحقوق للجماعة التي تعبر عن الإرادة العامة ،ثم هذه الجماعة تبرم عقدا مع الحاكم يلتزم بموجبه صيانة حقوق أفراد المجتمع وأن الحاكم إذا أخل بهذه الالتزامات يجوز للجماعة تغييره ، ويرى الكثير من المفكرين أن فكرة العقد الاجتماعي عند روسو أساس الديمقراطية الليبرالية .

رابعا : نظريات التطور التاريخي و الطبيعي

يرى أنصار هذه النظرية أن الدولة و السلطة لم تنشأ فجأة و إنما جاءت على مراحل نتيجة تضافر مجموعة من العوامل السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية

أدت إلى بروز سلطة مسيطرة كان من الطبيعي لها أن تتولى تنظيم المجتمع بما يتماشى وهذه العوامل التاريخية من أجل فرض سيطرة الدولة التي كانت نشأتها تعود إلى هذه العوامل .

خامسا : البيعة في الإسلام

حاول بعض من الفقهاء تشبيه البيعة في الإسلام بالعقد غير أن الفارق بين الاثنين واضح ، فبيعة أسلوب واقعي يعتمد على مكونات المجتمع الإسلامي القائم على الشريعة الإسلامية المستنبطة أساسا من القرآن الكريم و السنة النبوية و قد جاء التفصيل قديما مختلفا تماما عن فكرة لدى الفلاسفة العقديين لأن اختيار الحاكم في ظل البيعة يختلف عنه تماما في فكرة العقد للفلاسفة الغربيين .

مع ملاحظة أن هناك مجموعة أخرى من النظريات التي حاولت تفسير أصل نشأة الدولة إلى عوام أخرى ذات طبيعة سياسية و قانونية مثل نظرية الوحدة لدى الألماني " جيلنيك " و نظرية النظام القانوني عند " كلسن " و نظرية المؤسسة عند الفقيه "هوريو " .